

دور قبائل التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي (1911 – 1990م)

محاضر - المعهد العالي لإعداد المعلمين
جامعة أنجمينا - تشاد

د. أحمد محمد زين جمعة

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بقبائل التبو الذين يسكنون في شمال تشاد على الشريط الحدودي الجنوبي المتاخم لليبيا، وقد عاش التبو في بيئة صحراوية قاسية، لم يعرفوا حياة الاستقرار إذ كانوا ينتقلون بماشييتهم وإبلهم بين الشمال والجنوب، وامتنعوا زراعة النخيل، ومارسوا التجارة مع الجنوب الليبي، كما أنهم شكلوا في بعض الأوقات خطراً على تجارة القوافل. وقد قام التبو بدور مقدر في مقاومة الزحف الفرنسي نحو تشاد، وتضامنوا مع الحركة السنوسية والقبائل الليبية التي استقرت في شمال تشاد في التصدي للاستعمار الفرنسي، كما أنهم عانوا مثل غيرهم من القبائل التشادية من ظلم وتهميش الاستعمار الفرنسي لهم. ولما استقلت تشاد في عام 1960م وتسلم الرئيس تمبلباي حكم البلاد، استمرت معاناة التبو، وتعرضوا لمعاملة قاسية من قبل رجال تمبلباي الذين استخدموا كل أنواع الظلم والبطش في جباية الضرائب وإهانة المواطنين، مما ولّد الثورة في نفوسهم فتمردوا على حكم تمبلباي الذي عاني منه كافة أبناء الشمال الذين أنشأوا حركة التحرير الوطني (فرولينا) لمناهضة الظلم الذي وقع عليهم، فانضم التبو إلى هذه الحركة، وقد استغلت فرنسا الأوضاع المتدهورة في البلاد وأدخلت بعض العناصر الموالية لها لشق صفوف الثوار، كما أنها سحبت الدعم عن الرئيس تمبلباي الذي تمرد عليها. وفي ظل الأوضاع المتأزمة تمكن التبو من الوصول إلى السلطة، وحكم اثنان من أبنائها البلاد وهما كوغوني وداي الذي حكم لفترة قصيرة، وحسين هبري الذي جاء إلى الحكم مدعوماً من قبل فرنسا 1982 – 1990م فحكم البلاد حكماً دكتاتورياً معتمداً على اثنيته فتدهورت الأوضاع تدهوراً كبيراً، واندلعت الحروب، وانفلت الأمن، ووصلت تشاد إلى درجة كبيرة من سوء الأوضاع وكان للثنية دور كبير في هذا التفكك والانحلال الذي شهدته البلاد. توصي الدراسة بأن يكون للثنية دور إيجابي في جمع أبنا الوطن الواحد وتوحيد كلمتهم للانطلاق نحو البناء والتنمية والتقدم والرقى.

الكلمات المفتاحية: التبو، فرولينا، تمبلباي.

The Role of the Toubo Tribes in Chad in the National Resistance against the French Occupation (1911 – 1990 AD)

Dr. AHMAT MAHAMAT ZENE DJOUMA

Abstract:

The study aimed to identify the Toubo tribes who live in the North of Chad in Southern Libyan border, they live in a harsh desert environment, they do not know the life of stability. They roamed with their cattle's and camels between the North and South. They also cultivate palm trees, and practice trade with Southern Libya, and posed sometimes threat to the caravan trade. The Toubo tribes played a great role in resisting the French Colonialism in Chad, they supported the Senussi movement in confronting French colonialism. The Toubo, like other Chadian tribes, suffered from oppression and marginalization of the French Colonialists. When Chad became independent in 1960 and Tombalbaye, took the power, the suffering of Toubo continued and they were subjected to harassment and harsh treatment by the civil servants employees from the South, who used all kinds of injustice and oppression to collect taxes and insult them, so they rebelled against Tombalbye rule and joint the National Movement Liberation (Frolina). In light of the ongoing conflicts in the country during Tobalbaye regime, and the French intervention in Chadian affairs, Toubo ethnicity took the power of the state. Hussein Habre was brought to power with support of France. He ruled Chad as a dictatorship based on his ethnicity, this led to deterioration of the internal situation and the outbreak of wars and insecurity.

Keywords: Toubo, Frolina, Tombalbye.

مقدمة:

خضعت تشاد لاستعمار فرنسي عنيف استنزف موارد البلاد البشرية والاقتصادية، كما استهدف لغة البلاد ودينها وثقافتها بشكل أساسي. ولم يقف التشاديون أمام الزحف الفرنسي مكتوفي الأيدي بل قاوموه بضراوة بكافة قبائلهم وأعراقهم ومناطقهم. وقد ضمت تشاد مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، هذه الشعوب والقبائل تختلف وتتباين أشد ما يكون الاختلاف

والتباين لغة ودينياً وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي مائة وخمسين قبيلة تتحدث مائة لهجة محلية، وكل لهجة من هذه اللهجات ذات قيمة جوهريّة للمتكلمين بها. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي والعنصر الحامي والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزاً يستعصى علي الحل، وكثيراً ما تتداخل هذه العناصر وتمتزج نتيجة للتزاوج والهجرات والعوامل الاقتصادية والسياسية⁽¹⁾.

إن رؤية المجتمع التشادي وعاداته وتقاليدته تعطي من البداية انطباعاً لفردية ضاربة تقترب من الفوضى، وتتحكم فيه الأعراف بقدر ما يتحكم المناخ في التقدم الحضاري للشعوب⁽²⁾.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تبرز جزءاً مهماً من المقاومة الوطنية في تاريخ تشاد الحديث، وما واجهته من تحديات كبيرة تمثلت في وسائل وأساليب عدة استخدمتها القوى الاستعمارية من أجل اختراق المقاومة.

ثم تطرح هذه الدراسة بعضاً من الحلول الشاملة والواقعية لتجاوز تلك الأساليب والعقبات التي تقف أمام الوحدة الوطنية.

أهداف الدراسة:

– تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد.

– إظهار أهمية التعاون والتنسيق بين القبائل الحدودية من أجل التخلص من الهيمنة الاستعمارية.

– تأكيد مدى أهمية المشتركات العرقية والدينية والعادات والتقاليد في إيجاد الوحدة واللحمة بين مكونات الشعب نحو تحقيق هدف مشترك.

من هم التبو: تعد قبائل التبو والتيدا من القبائل الهامة في تاريخ تشاد القديم، وقد سكنوا المنطقة الشمالية التي تضم الإقليم الذي يقع في نطاق الصحراء الكبرى، وتمركزوا في منطقة جبال تيبستي المتاخمة لإقليم فزان الواقع جنوب ليبيا، ومن اسم جبال تيبستي استقوا اسمهم (تيبو) ومعناه سكان الجبل، أما القسم الذي سكن الواحات وسفوح الجبال فأطلقوا عليه اسم (تدا) ومعناه سكان سفح الجبل في لغتهم، والذين سكنوا منهم الإقليم الجنوبي المتاخم لمنطقة البلالة الوسطي أطلقوا عليهم (الدزا)⁽³⁾. والتيدا انتشروا في الإقليم الشمالي والصحراء الليبية ومنطقة الكفرة وما والاها، أما الدزا فكانوا يعيشون في مناطق تيبستي وبوركوا وفايا وإيندي، وهذه تعد أهم مدن الإقليم الشمالي الصحراوي، وفي القرن الثالث عشر الميلادي قست الطبيعة الصحراوية وانتشرت موجه من الجفاف فرحل الكثير منهم وسكنوا منطقة وداي وعراضة ومنهم من سكن منطقة دارفور⁽⁴⁾. وهناك قسم كبير من قبائل التيدا نزحوا إلى جنوب منطقة كانم الوسطي التي من أهم مدنها (ماو) وبحر الغزال، وقد أطلق عليهم العرب اسم القرعان وقد أخذ كتاب أوروبا في العصور الوسطي بهذه التسمية، ولكن الطوارق أطلقوا علي قبائل التيدا اسماً آخر وهو اكاردا ثم حرف إلي كريدا⁽⁵⁾.

يشير إبراهيم طرخان إلى أنه منذ القرن السابع الميلادي انقسم التبو إلى قسمين من حيث الحياة الاجتماعية، منهم من فضل حياة الاستقرار، وهؤلاء سكنوا منطقة بحر الغزال وماو، واشتغلوا بالزراعة وبعض الحرف التي يتعيشون منها، والقسم الثاني منهم فضل حياة الترحال، وهؤلاء عاشوا في تنقل بين إقليم بحر الغزال والإقليم الشمالي ومنطقة تيبستي فكانوا دائماً يسببون الاضطرابات، وعدم الخضوع لسلطة مركزية، وكانوا دائمي الخروج علي الدولة، إذا اتلفوا في الشمال انتقلوا إلى الجنوب حول بحيرة تشاد، وإذا اتلفوا في الجنوب ارتحلوا إلى الشمال، وهكذا كان دأبهم طوال الحقب التاريخية، يميلون إلى إثارة الشغب والفوضى ولا يخضعون لتعاليم الدين الإسلامي، فمع أنهم صاروا أتباعاً لهذا الدين إلا أنه لم يغير من حياتهم الأولى، وعاشوا حياة الجاهلية، حيث يعيشون على قطع طرق القوافل التجارية المحملة بالبضائع القادمة من الشمال إلى الجنوب، أو تلك الذهابية إلى الشمال، ولا يلتزمون بالعهد والمواثيق التي يقطعونها علي أصحاب القوافل⁽⁶⁾. ومن خصائصهم الجسمانية، القامة المتوسطة، والشفاه الرقيقة، والأنف المستقيم، والشعر الناعم، وهم سود متزنجون بسبب اندماجهم في الزنوج، وأما مظاهر حضارتهم فيقال إنهم ساهموا في إدخال صناعة الحديد والأسلحة الحديدية، إلا أن بعض الكتاب يذكر أن صناعة الحديد التي دخلت السودان الأوسط والغربي جاءت أصلاً من مصر⁽⁷⁾. ويذكر محمد سعيد القشاط: أن قبيلة التبو قبيلة عربية سكنت المنطقة منذ القدم واستقرت بجبال تيبستي وبها سُميت، كما يذكر القشاط إلى أن هيردوت أشار إليهم، وأنهم من سكان ليبيا، ويعتبرون من عرب الصحراء هاجر أجدادهم القدماء من الجزيرة العربية قبل الإسلام واستقروا بجنوب ليبيا وشمال تشاد وشرق النيجر⁽⁸⁾.

وينقسم التبو إلى قسمين:

1. التيدا يعيشون في جبال تيبستي.
2. الداذا يعيشون في بركو وايندي.

وينقسم كل من هذين التجمعين إلى قبائل شتى، ويمتهن التبو تربية الماشية والرعي والصيد والتجارة، وهم يسيطرون على طرق القوافل القادمة من فزان باتجاه بحيرة تشاد ونيجيريا⁽⁹⁾.

وفي القديم كان التبو يغيرون كغيرهم من القبائل العربية على القبائل المجاورة. ويملك التبو أعداداً هائلة من الإبل والماشية، أما قسمهم الجنوبي فيملك البقر. وهم محاربون أشداء، يصبرون على الجوع والعطش، ويتخذون من نبات الحنظل طعاماً لهم بعد أن يطبخوا يذوره ويدقونها ويخلطونها بالتمر⁽¹⁰⁾. وقد بدأت تتضح صورة توزيعهم بدقة منذ القرن الثاني عشر، فالتيدا الذين كانوا يعيشون في جبال تيبستي انتقلوا إلى منطقة جازو وكوار، أما الداذا فقد هجروا إقليم بركو وانتقلوا إلى إقليم بحر الغزال، وهؤلاء أصبحت لهم علاقات طيبة مع العرب نظراً لاحتراق القبائل العربية التي وفدت إلى تلك المناطق للرعي، فوجدت بينهم علاقات مثل تلك التي وجدت بينهم وبين الطوارق حينما كانوا يجاورونهم في موطنهم الأول في الشمال⁽¹¹⁾.

اللغة والتقاليد عند التبو:

من تقاليد التبو الموروثة، سمو مكانة المرأة عندهم، شأنهم شأن الطوارق وغيرهم من البربر، على الرغم من أنهم ليسوا من البربر، ويتركز نظام حكمهم في مجلس يتكون من كبار القوم ورؤساء العشائر، وهذا المجلس هو صاحب السلطة، ويعرف الزعيم أو الرئيس عندهم باسم (دردري). والتيدا يتحدثون عدة لغات، وهي لهجات متقاربة في المعنى ولكن اللغة الشائعة بينهم هي (التيداجا) وهي أقرب من حيث النطق والمعنى إلى اللغة الكانورية، وتختلف كل الاختلافات عن اللغة البربرية، وهم متعصبون لغتهم، ومع أنهم اعتنقوا الإسلام وبلادهم تقع في الإقليم المجاور لبلاد العرب في الشمال الإفريقي، إلا أنهم لا يحسنون التحدث باللغة العربية، في حين أن قبائل أخرى تسكن في الداخل وجنوب البلاد أحسنت التحدث بالعربية بطلاقة مثل شعب الدرن والموي، ويفضلون العيش في معزل عن القبائل الأخرى في الواحات والصحاري البعيدة عن الحضرة، وذلك خشية إحكام قبضة السلطان عليهم⁽¹²⁾. وهذا بطبيعة الحال يرجع إلى العزلة التي يفضلونها بدلاً عن الاختلاط مع غيرهم من القبائل المجاورة. ويكتفي أغلبهم بزوجة واحدة، ولم يغير الإسلام كثير من تقاليدهم الموروثة، وكانوا يكونون في القرن السادس عشر الميلادي نسبة كبيرة في جيش برنو⁽¹³⁾.

النشاط الاقتصادي:

لقد اعتاد سكان المنطقة اجتياز الحدود القائمة قبل توقيع اتفاقيات (لافال، موسيليني)*، وهي الوحيدة المعترف بها دولياً - حيث كانوا يجدون في كفرة وسبها، القمح والأنسجة والسكر والشاي والمنتجات المصنعة المتنوعة، ومن الصعب توجيههم نحو (بركو) أو إلى أي جهة أخرى، لأن الماشية تباع برواج وأسعار مغرية في ليبيا، كما أن التمر فيها أفضل مما هو عليه في (بركو). والمنتجات المستوردة رخيصة الثمن، وغالباً ما تتفق على نحو أفضل مع أذواق السوق المحلية، لذلك فإن اعتبار الحدود عقبة من شأنه أن يؤدي إلى نتائج غير محمودة لشعب البلدين⁽¹⁴⁾.

كما أنهم يمارسون زراعة النخيل، ويتعهد المزارع منهم بري المزرعة وإحاطتها بسور وإزالة الفروع الجافة، ويقوم بتلقيح النخيل، وجمع التمر ويتقاضى مقابل ذلك خمس المحصول كما يحصل على (الكرفاف) وهو القدر من التمر الذي يسقط على الأجزاء من السقف المتروكة على النخيل، وذلك في واحات بوركو وإيندي وتبستي التي توجد فيها زراعة النخيل بكميات كبيرة، وقد قدر عدد النخيل في بركو بمليون نخلة، منها ثلاثمائة ألف نخلة مثمرة، تنتج سنوياً حوالي خمسة عشر ألف طن من التمر، وقدر عدد النخيل في إيندي بمليون نخلة، منها عشرون ألف نخلة مثمرة تنتج سنوياً ألف طن من التمر⁽¹⁵⁾. ومن التبو من عمل في التجارة، وهؤلاء انتشروا بصفة خاصة شرق كانم، والمعروف أن لغة التبو ترتبط بلغة الكانوري، وأنها قريبة الشبه بها بدرجة كبيرة⁽¹⁶⁾.

علاقة التبو بالسنوسيين:

وصل السنوسيون إلى تشاد في العام 1899م، فتمركزوا في المناطق الشمالية وأخذوا يمارسون العمل السياسي، بالإضافة إلى النشاط الدعوي والنشاط التجاري، وأصبحوا منذ ذلك التاريخ

يحتكرون تجارة الأسلحة والذخيرة والسكر والشاي والملح، والعاج وريش النعام والرقيق والعسل بين ممالك تشاد ودول حوض البحر المتوسط⁽¹⁷⁾. وقد انضم إليهم أولاد سليمان الذين وصلوا إلى تشاد منذ العام 1835م، من فزان، كما انضم إليهم أيضاً قبائل التبو وعدد من قبائل العرب والكانمبو والزغاوة والقرعان، وفي عام 1900م، أنشأ السيد/ البراني زاوية (بئر علاي) في كانم وأقام عن طريق هذه القبائل شبكة من الاتصالات التجارية، أتاحت له الحصول على عدد كبير من المواطنين للاشتراك في جيش المقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي⁽¹⁸⁾. وكان السيد/ محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي زعيم الحركة السنوسية، قاد قبل وفاته من بلدته (غورو) بإنيدي في نوفمبر 1902م عملاً دبلوماسياً لدى مختلف سلاطين ومشايخ القبائل التشادية لتوحيد الرؤية والتقارب حول مقاومة الزحف الفرنسي، فبعث محمد السني إلى يوسف سلطان وداي، وعبد الرحمن جاورنج الثاني سلطان باقرمي لتحسين العلاقات التجارية، والتحالف معهما لمواجهة الغزو الفرنسي معاً. فحرب به سلطان وداي وتحالف معه، أما سلطان باقرمي فقبل العلاقات التجارية، لكنه رفض التحالف العسكري، التزاماً منه بمعاهدة الحماية التي كان قد عقدها مع فرنسا في أكتوبر 1897م⁽¹⁹⁾.

لقد تعرضت العلاقات بين مملكة وداي والسنوسيين لبعض الأزمات في عهد السلطان أحمد غزالي (1900-1901م)، ولكنها عادت إلى قوتها في عهد خلفه دود مرة الذي حكم من 1902-1911م، والذي وقف صفاً واحداً مع السنوسيين في التصدي للغزو الفرنسي⁽²⁰⁾.

كانت مقاومة السنوسيين في تشاد ضد الاحتلال الفرنسي تقوم على مبدأ محاربة الاستعمار (ديار الإسلام) وليست قائمة على أساس انتماء وطني لتشاد بدليل أنهم عادوا إلى ليبيا بعد خروج الأتراك منها عام 1912م، وبعد هزيمتهم في (عين جلجة) عام 1913م بدأوا يحاربون الاستعمار الإيطالي والإنجليزي حتى تمكنوا من تحريرها عام 1951م⁽²¹⁾. وتجدر الإشارة إلى أن الشعب التشادي لم يتأثر بالسنوسية باعتبارها دعوة دينية أو حركة إصلاحية، فقد استقر السنوسيون منذ وصولهم في إقليم (بوركو - تيبستي). وكانت قبائل (التبو) أكثر القبائل التشادية احتكاكاً بهم في السلم والحرب، إلا أن النزعة الدينية في هذه القبائل كانت ضعيفة للغاية فعلي الرغم من اعتناقها المبكر والصادق للإسلام لم تجد التوجيه الصحيح من السنوسيين لتطبيقه في حياتها الاجتماعية⁽²²⁾.

لم يجد السنوسيون الفرصة الكافية لإرساء دعائم الإسلام في منطقة التبو، وقد انشغلوا بالحروب ضد الاستعمار الفرنسي، وكذلك الاستعمار الإيطالي.

كما كان عامل العزلة الذي فرضته الطبيعة الجغرافية للمنطقة وخاصة الصحراء، حائلاً دون اتصالها بالمناطق المجاورة.

كما نلاحظ أن التبو تأثروا بعامل المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الذي قادته الحركة السنوسية بمساعدة التبو وغيرهم من القبائل التشادية في المنطقة، مما جعل منطقة شمال تشاد عصية على الاستعمار الفرنسي حتى بعد رحيل السنوسية.

المقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي:

لقد حرصت الحركة السنوسية أن تتوسط ميداناً تقود به حركة الإسلام في إفريقيا الوسطى، ولذلك اندفعت جنوباً، كما أن أحداثاً هامة جعلتها تحرص على القرب منها، ومن ذلك ترقب تحركات الفرنسيين في الصحراء، والرغبة في التوقيع قريباً منها، وقد حاولت فرنسا بسط نفوذها على الإمارات الإسلامية في إفريقيا، وذلك بغية تعمير القرى وحل مشاكل البدو وجمعهم على كلمة سواء، وتشجيع طلاب الزوايا على العمل في الزراعة⁽²³⁾. ومن جملة الأسباب التي جعلت ابن السنوسي يفكر في جعل مركزه بعيداً ما أمكن عن مطارح أنظار الدول الاستعمارية، ليخلو له الجو في تجهيز قومه وبث دعوته، فانتبذ هذا المكان القصي من الصحراء في النقطة الوسطى بين ساحل البحر المتوسط والسودان الأوسط، وكانت معاملة مأموري الأتراك قد ساءت في التحري والتنقيب عن السلاح، وكبس زوايا السنوسية في الجبل الأخضر، وشاع أن الدولة أخذت تشتبه في أمره وتتوجس خيفة ادعائه الخلافة، فقصده أن يعتزلها إلى الصحراء الكبرى⁽²⁴⁾. ولعل هذه الأسباب جميعها متوفرة في قضية تحوله إلى الكفرة، إذ أن الكفرة كانت قريبة من السودان الأوسط (تشاد) مما تتيح له بث دعوته في تلك الأقطار ونشر الإسلام في أوساط إفريقيا عن طريق كانم - برنو وداي وغيرها من أوساط إفريقيا وغربها، فكان للسنوسية اليد الطولى في عمران تلك الواحات وازدياد الغرس والفلاحة فيها وترقية عقول أهلها وبنائها فيها زاوية عظيمة⁽²⁵⁾. وكانت تبيستي فضاءً تابعاً لفزان التابعة لولاية طرابلس الغرب العثمانية نحواً من خمسين عاماً، وفي عام 1911م تحركت قوة عثمانية مؤلفة من مئة وخمسين عسكرياً من قصبة سبها التابعة لفزان بدعم من السنوسية الحركة الدينية الأقوى في الشمال الإفريقي لصد الاحتلال الفرنسي، فشككت مراكز جديدة في مناطق تبيستي وبوركو وإنيدي⁽²⁶⁾. وشككت بعض قبائل العرب والتوبو والقرعان والزغاوة والكاهمبو حلفاً دفاعياً مشتركاً بين الشعبين سواء كانوا في تشاد بعد وصول السنوسية، أو في ليبيا في حرب الطليان، ذلك أن القبائل المهاجرة ارتبطت بعلاقات متفاوتة مع بعض القبائل المحلية. كما أن السنوسيين بعد وصولهم إلى تشاد 1899م تمركزوا حيث توجد هذه القبائل كمرحلة أولى في المناطق الشمالية، وأخذوا يمارسون العمل والتوجيه بالإضافة إلى الجهاد، وأصبحوا منذ ذلك التاريخ يحتكرون تجارة الأسلحة والشاي والملح والعاج والعسل بين ممالك تشاد ودول حوض البحر المتوسط، وقد كانت الحركة السنوسية تضم تشاديين وليبيين⁽²⁷⁾. ولذلك وجد الفرنسيون أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في تشاد في صراع مع عدو قد يكون أقل ضراوة من رابع على المستوى العسكري، ولكنه عدو أكثر مهارة من رابع على المستويين النفسي والدبلوماسي، عدو يشعر بالعزة والطمأنينة وهو يدافع عن مبادئه الدينية، ومصالحه القديمة مما جعل المقاومة شديدة في الجبهة الشمالية الشرقية، إلا أن عدم تحالف سلطان باقرمي مع القوى الوطنية الأخرى، فتح ثغرة كبيرة في الجبهة الجنوبية للتغلغل الفرنسي⁽²⁸⁾.

لقد قاوم الشعب التشادي الاحتلال الفرنسي بقيادة السنوسيين الذين تمركزوا في المناطق الشمالية عام 1899م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكانوا يمارسون العمل الدعوي والجهاد، وقد

انضم إليهم في المقاومة مختلف القبائل (التبو والقرعان والزغاوة والعرب والكانمبو)، وفي عام 1900م أنشأ السنوسيون زوايا في كانم وخاصة في بئر علالية. وكذلك وجد الفرنسيون مقاومة شديدة في الجبهة الشرقية حيث تشكلت جبهة إسلامية تضم كل من الحركة السنوسية وسلطان وداي (دود مرة) والسلطان تاج الدين سلطان الجينية. وقد استبسل الشعب التشادي في مقاومة الاستعمار الفرنسي واستشهد الكثيرون من أجل أرضهم ودينهم وعرضهم⁽²⁹⁾.

ففي عام 1911م قامت فصيلة فرنسية من الهجانة التابعة لكانم بهجوم على بلدة (فوكو)، وفي 15 مايو 1913م أسر المقدم صالح كريمي وعدد من جنوده في بلدة (ووي) بإيندي، وبعد ذلك بثمانية أيام حاول عبد الله التوير مقدم عين جلركة القيام بهجوم مباغت على فرقة الملازم (ديغور) ولكنه لم يتم تنفيذ خطته فاستشهد أثناء المحاولة⁽³⁰⁾. وفي 24 أكتوبر 1913م، غادر العقيد لارجو مدينة (ماو) بكانم متجهاً إلى (عين جلركة) القلعة الصامدة التي صدت جميع الحملات الفرنسية وطلب من الملازم (ديفور) الذي كان يرباط في منطقة (بلتن) أن يلحق به، فالتقى الجيشان، وهجما على (عين جلركة) في 24 نوفمبر وبعد 5 أيام من المعارك العنيفة فقد الفرنسيون عدداً كبيراً من قواتهم وعلى رأسها: النقيب (ماجون) والملازم (بريفونتين) والمساعد (لجريون) وعدد من رجاله واستسلمت المدينة⁽³¹⁾. ويعود السبب في الهزيمة إلى ضعف الأسلحة التي لم تكن متكافئة مع الأسلحة الفرنسية الثقيلة وبعد هذه الهزيمة استولى الفرنسيون على (فايا) و(وينقا) و(غورو) دون مقاومة تذكر. وفي (غورو) هدمت القوات الفرنسية قبة الإمام محمد المهدي وتمكنت من أسر محمد السني إلا أنه أفلت من يدها بعد الأسر ولجأ إلى الكفرة حيث يوجد السيد أحمد الشريف⁽³²⁾. ومنذ ذلك التاريخ انتهت مقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي في تشاد من الناحية السياسية والفكرية.

كان يتولى الإدارة العثمانية في ليبيا في تلك الفترة أعضاء الحزب التركي الجديد (تركيا الفتاة) الذين اصطدم السيد أحمد الشريف بإدارتهم أكثر من مرة، وعلى الرغم من ذلك عرف كيف يستعين بهم في الوقت نفسه فأرسل إلى إسطنبول وفداً ليؤكد للسلطان العثماني ولاءه له. وفي عام 1908م أوفد جلال باشا حاكم إقليم مرزق القائمقام عثمان أفندي لاحتلال واحة (برداي) ليحول دون دخول الفرنسيين إليها، وفي عام 1911م قامت حامية تركية بقيادة النقيب رفقي باحتلال (ين) الواقعة بجوار (عين جلركة) غير أن التهديد الإيطالي للدولة العثمانية بإنزال جنود على الساحل الليبي، واضطر رفقي إلى العودة إلى طرابلس وترك الحامية التي كان يرفقها. فطلب المقدم عبد الله التوير من هذه الحامية أن تذهب لاحتلال (إيندي) قبل وصول الفرنسيين إليها، وقد تم تنفيذ ذلك إلا أن الملازم الفرنسي (ديفور) طلب من قائد الحامية التركي الانسحاب منها، فلم يعترض بل انسحب وعاد إلى (فايا) في 14 مارس 1912م، فاستاء السنوسيون من تصرفه واتهموه بالخيانة ثم حكموا عليه بالإعدام في أكتوبر 1912م، وبعدها لم ترسل الحكومة العثمانية مساعدة عسكرية لحماية أراضي تشاد الشمالية⁽³³⁾. ونتيجة للاتفاقات التي وقعت مع إيطاليا والدولة العثمانية كان من الضروري إتمام انسحاب آخر القوات العثمانية من تبيستي بنهاية العام 1912م، ولكن القنصل

الإيطالي في طرابلس الغرب قام بإبلاغ وزير الخارجية بونيجاري بأن انسحاب القوات التركية أخذ فترة طويلة وخاصة في المناطق المختلفة لفران وعلى رأسها جات تبيستي، وأخبر أن الجنود كانوا ومازالوا يتواجدون فيها حتى تاريخ 18 كانون الأول 1912م⁽³⁴⁾. ولما بسطت الإدارة الاستعمارية الفرنسية يدها على منطقة الشمال التشادي بعد مقاومة عنيفة من قبل السكان، اقتصر نشاطهم فيها على العثور على رؤساء محليين أوفياء خاضعين لهم لإدارة المناطق التي تقع تحت سيطرتهم، بطريقة شبيهة بالحكم البريطاني غير المباشر. ويدعي التاريخ الفرنسي للاستعمار في شمال تشاد، الذي كتب بأقلام أفراد الجيش المستعمر، وجود علاقات طيبة بين سلطات الاستعمار والسكان المستعمرين. ولكن التجاوزات على المستوي المحلي قد وقعت، وظلت في الذاكرة الجماعية للتيدا. كما أن هذه التجاوزات تظهر في المستندات الهامة، مثل مذكرات المستكشف ثودور موندور، الذي تم تعيينه في أوزو في الفترة ما بين عامي 1939-1940م ويشير موندور على سبيل المثال، إلى الزواج القسري لامرأة من التيدا بجندي فرنسي⁽³⁵⁾.

لم يتأثر الشعب التشادي بالسنوسية باعتبارها دعوة دينية أو حركة إصلاحية، على حد رأي عبد الرحمن الماحي، فقد استقر السنوسيون منذ وصولهم في إقليم (بوركو - إنيدي - تبيستي)، وكانم ذات الكثافة السكانية العالية من قبائل التبو، ولذلك كانت قبائل (التوبو) أكثر القبائل التشادية احتكاكاً بالسنوسية في السلم والحرب، إلا أن النزعة الدينية في هذه القبائل كانت ضعيفة للغاية، فعلي الرغم من اعتناقها المبكر والصادق للإسلام لم تجد التوجيه الصحيح من السنوسيين لتطبيقه في حياتها الاجتماعية⁽³⁶⁾. وقد يرجع ذلك لعدة عوامل منها: أن السنوسيين وجدوا أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في شمال تشاد في صراع مع الاستعمار الفرنسي الذي قضى على سيطرة رابع في جنوب وغرب بحيرة تشاد، وأخذ يتغلغل في البلاد، لذلك كان اهتمامهم بالمقاومة أكثر من اهتمامهم بالدعوة والإصلاح الديني، هذا إلى جانب أن السنوسيين اعتبروا أنفسهم على الرغم من قلة عددهم وانتشار الأمية في أوساطهم - في ذلك الوقت - مستقلين، بل في كثير من الأحيان أسياداً، مما كان له أكبر الأثر في إبعاد المواطنين عن الاحتكاك بهم والاعتقاد بأفكارهم يضاف إلى ذلك أن السنوسيين الذين فضلوا الإقامة في تشاد حال الاحتلال الفرنسي دون أن ممارستهم أي نشاط سوى التجارة⁽³⁷⁾.

نلاحظ بأن السنوسيين وصلوا إلى تشاد في العام 1899م واستمروا حتى عام 1912م، تقدر هذه الفترة بثلاثة عشر سنة، لم يتمكنوا خلال هذه الفترة من تمكين وجودهم وتنفيذ برنامجهم نسبة للتهديد الفرنسي الذي يتجه من الجنوب نحو الشمال. وأمام هذا التهديد الاستعماري بادر السنوسيون بخطة تمثلت في توحيد الجبهة الداخلية للمسلمين وذلك من خلال الاتصالات التي قام بها محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي زعيم الحركة السنوسية، فقد قاد قبل وفاته في بلدته (غورو) بإنيدي في نوفمبر 1902م عملاً دبلوماسياً لدى مختلف سلاطين ومشايخ القبائل التشادية. ولكن لم تهمل القوات الاستعمارية الفرنسية الحركة السنوسية الفرصة لاستكمال الخطط الإستراتيجية المتمثلة في بناء الزوايا وتوحيد الجبهة الداخلية للمسلمين من أجل

صد الزحف الاستعماري نحو الشمال. وبعد سنتين فقط من وصول الحركة السنوسية إلى تشاد، وتحديدًا في عام 1901م قاد النقيب (مبللو) هجومًا على زاوية بئر علالي في كنم القلعة المتقدمة للسنوسيين تجاه الجنوب، حيث تشكلت المقاومة الوطنية بالنسبة للمعارك الأولى مع الفرنسيين. ورغم عدم جاهزية الحركة السنوسية في مواجهة هذا العدو الذي يتفوق عليها عسكرياً ومادياً بالإضافة إلى العامل المتمثل في قلة عدد منسوبي الحركة السنوسية من سكان هذه المناطق، ورغم أننا في هذه الدراسة لم نتمكن من إيجاد إحصاء سكاني لأهالي هذه المناطق في تلك الفترة بصورة دقيقة، إلا أنه بالرجوع إلى الإحصاء الذي أورده الدكتور الماحي في كتابه تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال نجد أن عدد سكان منطقة بوركو يساوي 20.000 نسمة عام 1955م، ومنطقة إيندي يقدر عدد سكانها بحوالي 20.500 نسمة عام 1948م، ومنطقة تبيستي يقدر عدد سكانها بحوالي 6,476 نسمة عام 1949م، أما منطقة كنم عدد سكانها يساوي 177.000 نسمة عام 1953م⁽³⁸⁾. وهذه النسبة الضئيلة بطبيعة الحال لم تساعد السنوسية في التصدي لدحر الاستعمار وصدّه عن احتلال البلاد، وتعتبر عاملاً مهماً من العوامل التي ساعدت القوات الفرنسية في تقدمها وزحفها نحو احتلال البلاد وبسط سيطرتها ونفوذها. وبعد القضاء على النفوذ السنوسي والمقاومة الوطنية في هذا الإقليم، سارعت القوات الفرنسية في إنشاء أول مدرسة فرنسية في كنم لتحل محل الزوايا التي أقامتتها الحركة السنوسية في هذه المنطقة ليبدأ بذلك الغزو الفكري والثقافي لسكان هذه المنطقة، الذين تعتقد أنهم تأثروا بالسنوسية التي تمثل الإسلام.

ثم بعد ذلك أدارت فرنسا المنطقة بوساطة ضباط عسكريين مدربين للتعامل مع هذا الشعب الذي يرفض الانصياع للقوى الاستعمارية رغم الهزيمة التي مني بها، وكانت الحركة السنوسية عنصراً أساسياً في المقاومة، فلم تكن إدارة هذا الإقليم كباقي أقاليم تشاد بل كان التمرد ضد الوجود الفرنسي من حين لآخر هو سيد الموقف.

الوضع بعد الاستقلال:

استمرت الأوضاع في منطقة الشمال تسير بصورة متأزمة حتى بعد الاستقلال، وظل الفرنسيون يرباطون في هذه المنطقة حتى عام 1965م، حيث تم استبدالهم بالجنود التشاديين الذين ينحدرون غالباً من جنوب البلاد (السارا)، وقد اعتبر السكان المحليون أن سلوك هؤلاء الجنود الجنوبيين أسوأ من سلوك المستعمر نفسه⁽³⁹⁾. ولذلك ساهم السلوك السيئ من قبل هؤلاء الجنوبيين على سكان المنطقة في إشعال روح الثورة واندلاعها بشكل كبير، وانتفاضة السكان ضد الممارسات القمعية التسلطية في النصف الشمال من البلاد في عام 1965م، وسرعان ما تطورت إلى حرب أهلية واسعة النطاق، وكان السبب الرئيسي للثورة هو سوء إدارة موظفي الخدمة المدنية (وأكثرهم من إقليم سارا) في شمال البلاد، فقد منع أهالي التبو من ارتداء العمام أو حمل السكاكين وحل الموظفون المدنيون محل الشيوخ الإقليميين في جباية الضرائب في الشمال، وأدي جمع الضرائب عن طريق الابتزاز في (مانقالمي) إلى قيام أعمال شغب امتدت عبر منطقة باثا (المنطقة الإسلامية في وسط تشاد)، وقام التبو بأعمال شغب بسبب الضرائب ولجأ زعيمهم التقليدي ديروي

سلطان اوپرويكيدي فيمي إلى ليبيا، بينما حمل أولاده السلاح ضد حكومة تشاد ومن بينهم قوكوني ويدي⁽⁴⁰⁾. وفي إدارة البلاد عاني الشعب خلال حكم الرئيس تمبلباي (1960 - 1975) الذي خلف الحكم الاستعماري وهو مسيحي من الجنوب - ونتيجة لسوء الوضع الذي عاني منه الشمال المسلم فقد تم إنشاء جبهة فرولينا بقيادة إبراهيم أبتشه عام 1966م بالسودان⁽⁴¹⁾.

اعتمدت فرولينا في تكوينها علي الشباب المتعلم في الدولة عامة، وفي القاهرة خاصة كما اعتمدت في تكوينها علي فلاحي الوسط الشرقي، وقد جاء تكوينها كرد فعل مما عاني منه الشعب أثناء الاستعمار وبعده، وكان أهم ما أشعل الثورة هم جباة الضرائب اللذين بالغوا في جمعها وابتزاز أموال فلاحي إقليم منقلمي في الوسط الشرقي، وسرعان ما تحولت كل هذه الاضطرابات إلى اشتباكات مسلحة مع الجيش وانتشرت في الأقاليم المجاورة لعدم قدرة الجيش التشادي علي السيطرة عليها⁽⁴²⁾. مع بداية 1969م انتشرت العمليات الثورية في أراضي بوركو - أيدي - تبستي B.E.T. إذ أن النزوح الكبير الذي قاده الزعيم التقليدي والأحداث التي أعقبت ذلك أعطت العمل الثوري روحاً جديدة وجسداً آخر، فالواقع الميداني فرض جيشاً جديداً للثورة، عملت فرولينا على احتوائه وساعد المناضل طاهر أبادي على تنظيمه، وعرف هذا الجيش الثاني لفرولينا، إذ أن الفدائيين في الشرق يكونون الجيش الأول، وأصبح قوكوني ودي هو قائد الجيش الجديد، وجعلت الأحداث اللاحقة من هذا الجيش الثاني القوة الأساسية للثورة بسبب تواجده في الحدود الليبية (بلباي)، المصدر الأساسي لدعم الثورة، إضافة إلى أن اختطاف مدام كلوستر ورفاقها، أعطى هذا الجيش شهرة ومكانة كبيرة في الإعلام الأوروبي خاصة⁽⁴³⁾.

يضاف إلى ذلك خبرات وتجارب التوبو التي اكتسبها من خلال تلك الحروب التي خاضوها ضد الاستعمار الفرنسي مع الحركة السنوسية، هذا بالإضافة إلى طبيعة هذا الشعب الصحراوي التي اكتسبته تحمل الصعاب وحب المغامرات، وهذا بطبيعة الحال ما حدا بفرنسا إلى استقطاب عناصر من التوبو والزج بهم في فرولينا ليصبحوا فيما بعد قيادات للثورة. ومن هنا استطاعت فرنسا أن تخرق ثورة فرولينا من خلال زرعها قيادات مؤهلة بدرجة عالية تحتاجها الثورة في حينها من أجل بنائها الداخلي والعمل على الاعتراف بها على المستوى الدولي. وإن هذه الإستراتيجية هي التي مكنت فرنسا من شق صف الثورة وبالتالي تغيير مسارها بشكل أساسي.

ورغم كل ذلك قررت فرنسا أن تستبدل نظام الرئيس تمبلباي بنظام آخر للأسباب الآتية:

- تمرد نظام تمبلباي على السياسة الفرنسية في الآونة الأخيرة من حكمه.
- عدم مقدرة نظام تمبلباي على التصدي لثورة فرولينا بشكل نهائي رغم مساعدة القوات الفرنسية.
- شمولية وتنظيم وعزيمة ثوار فرولينا في محاربة النظام القائم في تشاد المدعوم من قبل فرنسا.
- استمرت فرنسا في اختراقاتها للثورة التشادية، وذلك من خلال الزج بعناصرها في لب الثورة.

- يذكر الجنرال آدم تقوي أبو في كتابه ذكريات فرولينا (أخبرنا قوكوني أن حسين هبري سيأتي لمقابلتنا أنا ومحمد أبه سعيد في مدينة كانو بنيجيريا يريد الانضمام للجيش الثاني، ولذا أعطيناه رقم هاتف (مصطفى) رئيس اللجنة السرية بمدينة كانو ليتواصل معه⁽⁴⁴⁾.

من هنا بدأت رحلة حسين هبري نحو الانضمام إلى فرولينا رغم كل الملاحظات والشكوك التي ذكرها بعض القيادات عن حسين هبري كونه عميل فرنسي زج به في الثورة. فعندما التحق حسين هبري وهو أيضاً من قبائل القرعان، جامعي وموظف سابق في الإدارة الحكومية، يقال إنه لم يجد الترحيب والحفاوة اللائقة به من قبل الدكتور أبا صديق الذي ارتاب في أمره، إلا أن هذا الحذر فسره الآخرون ومنهم قوكوني بالغيرة والحسد. وفي المقابل وتقديراً للمستوي الدراسي لحسين هبري ومناصبه التي تولاها في الحكومة، تنازل قوكوني طواعية عن قيادة الجيش الثاني وسلمها لحسين هبري، واكتفي بأن يكون نائباً له⁽⁴⁵⁾.

خلال هذه الفترة تعرض الأمين العام لفرولينا الدكتور أبا صديق لانتقادات كثيرة تتعلق كلها بالعجز القيادي، هذا العجز بالتضافر مع الأحداث نجمت من الواقع المعاش أدت إلى خلق فواصل وزعامات ميدانية مستقلة الشيء الذي أفرغ الأمانة العامة من محتواها الحقيقي، فمن الناحية العملية تفرد قوكوني بزعامة الجيش الثاني، بينما كوّن كل من حسين هبري وأبو بكر عبد الرحمن جبهته المستقلة، أما الجيش الأول فبالإضافة إلى قوات البركان التي يتزعمها البقلاني فقد عقد الفدائيون مؤتمر بكرنقة في الميدان بتاريخ: 19 أغسطس 1977م واختاروا مالوم بكر زعيماً لهم⁽⁴⁶⁾. بهذه الخطوة تمكنت فرنسا من شق صف فرولينا حسب الإستراتيجية التي وضعتها لذلك. وانفرد حسين هبري بفصيله لتقوم فرنسا بدعمه للتخلص من خصومه إلى إن استولى على السلطة من مالوم بمساعدة قوكوني، ومن هنا آلت الأمور بشكل ممنهج إلى التوبو بشكل عام. وكمرحلة أولى ترأس قوكوني البلاد ولم يمهله حسين هبري طويلاً فأطاح به ثم استولى على السلطة بمباركة ودعم من فرنسا. وفي نهاية الأمر وصل التوبو إلى السلطة بعد نضال طويل ضد الوجود الفرنسي في شمال البلاد الذي عانى منه التوبو كثيراً. ولكن في النهاية تحول عدو الأمس ليصبح صديق اليوم، وهكذا ورثت تشاد نظاماً مركزياً يضم عرقيات مختلفة متنافرة، واقتصاد قومي متباين التوزيع يخضع لتفوق العرقيات التي تعاونت مع الإدارة الفرنسية، وذلك على حساب سائر العرقيات الأخرى⁽⁴⁷⁾.

هناك ما يشبه الإجماع بين العلماء والباحثين والمراقبين على أن الإثنية قابلة لأن تكون قوة إنسانية محررة وخالقة، أو أن تكون مدمرة وعشوائية مكبلة للإنسان، ذلك أن الإثنية ليست بمشكلة في ذاتها بل هي انتماء طبيعي معترف به من قبل الأديان السماوية التي وضعتها في إطارها الصحيح، لتكون محررة وبناءة، لكن تبرز المشكلة حينما تستخدم الإثنية في السياسة، ويُساء استخدام المشاعر الإثنية من أجل تفجير الأوضاع وتهديد الاستقرار - وكثيراً ما يحدث ذلك - فتتحول إلى سلاح خطير⁽⁴⁸⁾.

لكن إذا نظرنا إلى الواقع الإفريقي نظرةً فاحصةً لتبين لنا بشكل جلي وواضح إن الاتنية في إفريقيا لم تكن قوة محررة ولا خلاقة بل هي العكس من ذلك تماماً كانت أداة من أدوات الصراع والاحتراب الذي قاد إلى القتل والتدمير والإبادة الجماعية رغم أنف المواثيق والأعراف الدولية التي تنادي باحترام حقوق الإنسان وصيانة حياته وحقوقه⁽⁴⁹⁾. وفي نهاية الأمر وبنظرة تقييميه وواقعية لواقع تشاد الذي هو جزء لا يتجزأ من الواقع الإفريقي في استخدامه للإتنية كوسيلة للسيطرة على مقاليد الحكم وإقصاء الإثنيات الأخرى أو بالأحرى وضعها في الهامش، هذه السياسة أدت إلى تدمير الدولة وأصبحت الدولة كنظام مؤسسي لا وجود لها، فانهارت البنيات الأساسية للدولة، وانفلت الأمن ولم ينجح من ذلك الحاكم ولا المحكوم، وتعطلت المشاريع وانتشرت الأمراض، وساد الدولة التخلف الذي أصبح السمة السائدة في جميع المجالات، وتحولت المدن إلى قرى كبيرة نتيجة لهجرة الأعداد الكبيرة من سكان الريف إلى المدن بحثاً عن الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والأمنية التي كادت أن تكون معدومة في القرى.

لم ينجح من هذا الوضع الصعب للحاكم ولا المحكوم بمعنى آخر ولا الإثنية الحاكمة ولا المحكومة.

الخاتمة:

من خلال ما سبق عرضه في الصفحات الماضية تبين لنا أن قبائل التبو من القبائل التشادية التي تعيش في الشمال التشادي ذات جذور ضاربة في القدم تتداخل مع الجنوب الليبي، وقد اختلفت آراء المؤرخين في أصولهم، عاشوا في بيئة صحراوية قاسية ينتقلون بماشيتهم بين الجنوب والشمال، وكانوا يغيرون على القوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العابرة إلى الشمال. وقد عانت قبائل التبو كغيرهم من القبائل التشادية من الزحف الاستعماري الفرنسي واحتلاله للأراضي التشادية. كما أنهم قاوموا التدخل الفرنسي في البلاد بكل ما لديهم من قوة وتضامنوا مع الحركة السنوسية في التصدي للزحف الفرنسي، وظلت معاناتهم قائمة بعد الاستقلال بعد تسلم الرئيس تمبلباي لزام الأمور في البلاد في عام 1960م، وهو مسيحي من الجنوب، إذ تعرضت منطقة التبو في عهده لمزيد من العنف والجور والظلم والتهميش، ومارس موظفو الخدمة المدنية من أبناء الجنوب أبشع أنواع التنكيل والاضطهاد في جباية الضرائب والتعامل غير الإنساني مع سكان الشمال من أبناء التبو مما أوقد فيهم شرارة الثورة والتمرد ضد حكم الرئيس تمبلباي، وتزامن ذلك مع نشأة حركة فلولينا التي تضامنت معهم في الانتفاضة في وجه الظلم من قبل حكومة الرئيس تمبلباي وانخرط التبو في هذه الثورة وأنشأ أحد ابنائهم وهو كوغوني وداى الجيش الثاني. وقد سعت فرنسا لضرب حركة فلولينا من الداخل وتغذية الصراع الإثني بين الثوار وعملت على إزاحة الرئيس تمبلباي من السلطة لتمرده عليها، وقد تمكن اثنان من أبناء التبو من الوصول إلى سدة الحكم وهما كوغوني وداى وحسين هبرى الذي يعتبره البعض أنه مدفوع من قبل فرنسا، غير أن التجربة أثبتت أن استخدام الإثنية كوسيلة للسيطرة على الحكم وإقصاء الآخرين وتهميشهم جرّت عواقب وخيمة على الدولة التشادية، وقد أدت سياسة الإقصاء

والتهميش إلى انهيار الدولة وانفلات الأمن في البلاد، فاندلعت الحروب بين أبناء الوطن الواحد وقضت على كافة مقدرات البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفي ضوء ما سبق تخلص الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن قبائل التبو والتيدا من أهم القبائل التشادية التي سكنت منطقة الشمال التشادي منذ القدم ولديهم تداخلات اجتماعية واقتصادية مع منطقة الجنوب الليبي.
- قام التبو بدور مهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتشاد بالتضامن مع الحركة السنوسية وبعض القبائل الليبية التي سكنت في شمال تشاد.
- عانت قبائل التبو كغيرها من القبائل التشادية من الاستعمار الفرنسي واستمرت هذه المعاناة بعد الاستقلال أثناء حكم الرئيس فرانسوا تمبلباي الذي استخدم أبشع أنواع الظلم والعدوان في إخضاع قبائل التبو وجمع الضرائب منهم مما ولد الثورة في نفوسهم فانضموا إلى حركة التحرير الوطني التشادية الذي جمع معظم أبناء الشمال التشادي لمقاومة نظام الرئيس تمبلباي.
- تمكن اثنان من أبناء التبو من الوصول إلى سدة الحكم في ظل الصراعات التي سادت البلاد وانهيار حكم الرئيس تمبلباي.
- حكم الرئيس حسين هبري وهو أحد أبناء التبو البلاد حكماً دكتاتورياً معتمداً بشكل كبير على اثنيته مما أدخل تشاد في حالة من الفوضى والغليان والحروب الأهلية التي قضت على حكمه في نهاية الأمر.

التوصيات:

- إن استخدام الإثنية في الحالة التشادية ينبغي أن تكون قوة إنسانية جامعة وأداة للتعارف والتعاون والتآزر بين أبناء الوطن الواحد، كما أنه ينبغي استغلال التباين فيها من أجل خلق وحدة شاملة تعمل على بناء وتنمية وطن واحد يسع الجميع يتمتعون بحقوق متساوية.
- لا بد من العودة إلى مرتكزات الشعوب وفي مقدمتها المعتقدات الدينية والإرث الثقافي واللغوي والعادات والتقاليد المشتركة للأمة هي الحاضنة الأساسية التي يمكن للحكومات أن توجد من خلالها شعباً مصقولاً بالوحدة والانتماء الوطني، التي يمثل فيها التباين الإثني قوة كبيرة تدفع بالبلاد نحو التنمية والاستقرار والتعايش السلمي والتطور والتقدم والرقي.

الهوامش:

- (1) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894 - 1960م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م، ص 72.
- (2) المرجع نفسه والصفحة.
- (3) فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م، ص 70.
- (4) المرجع نفسه، ص 70.
- (5) المرجع نفسه والصفحة.
- (6) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص 29.
- (7) المرجع نفسه والصفحة.
- (8) محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة ذي قار، ليبيا، 1999م، ص 121.
- (9) المرجع نفسه والصفحة.
- (10) المرجع نفسه والصفحة.
- (11) فضل كلود، مرجع سبق ذكره، ص 73.
- (12) المرجع نفسه، ص 73.
- (13) إبراهيم طرخان، مرجع سبق ذكره، ص 29.
- (14) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 195.
- (15) المرجع نفسه، ص 51.
- (16) إبراهيم طرخان، مرجع سبق ذكره، ص 29.
- (17) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 147.
- (18) المرجع نفسه، ص 147.
- (19) المرجع نفسه، ص 147.
- (20) المرجع نفسه، ص 147.
- (21) المرجع نفسه ص 151.
- (22) المرجع نفسه والصفحة.
- (23) محمد زين نور، الحركة السنوسية ودورها الإصلاحي في أفريقيا جنوب الصحراء في الفترة ما بين 1896 - 1920، الرباط، المغرب، ص 63.
- (24) المرجع نفسه، ص ص 63 - 64.
- (25) المرجع نفسه، ص 64.
- (26) أحمد كباس، العلاقات التركية التشادية (سياسة العثمانيين في وسط أفريقيا)، اسطنبول، 2014م، ص 23.

- (27) محمد زين نور، مرجع سبق ذكره، ص 90.
- (28) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 147.
- (29) محمد زين نور، الاستعمار الفرنسي، ص 91.
- (30) عبد الرحمن عمر الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 149.
- (31) المرجع نفسه، ص 149.
- (32) المرجع نفسه، ص 150.
- (33) المرجع نفسه، ص 149.
- (34) أحمد كباس، مرجع سبق ذكره، ص 139.
- (35) جيروم توبيانا وكلاوديو غراسيزي، مشكلة التبو ما بين وجود وغياب الدولة في مثلث تشاد - السودان - ليبيا، إصدار مشترك بين مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري في السودان وجنوب السودان التابع لمسح الأسلحة الصغيرة، 2017م، ص 31.
- (36) عبد الرحمن الماحي، ص 151.
- (37) المرجع نفسه والصفحة.
- (38) المرجع نفسه، ص 170.
- (39) جيروم توبيانا وكلاوديو، مرجع سبق ذكره، ص 31.
- (40) علي مزروعي ومايكل تايدي، القومية والدول الجديدة في أفريقيا من 1935 حتى الوقت الحاضر، ج2، 1990م، ص 25.
- (41) لمزيد من التفصيل عن نشأة فرولينا انظر: محمد الهادي عبد الرحيم، فرولينا أحداث 12 فبراير 1979م، الخليفة والآثار.
- (42) عبد الله محمود الحسيني الشهاوي، التدخل الأجنبي في أفريقيا في السبعينيات - دراسة تطبيقية على أنجولا وزائير - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1987م، ص 119.
- (43) محمد الهادي عبد الرحيم، مرجع سبق ذكره، ص 51.
- (44) آدم توقوي، ذكريات فرولينا - التمزق الداخلي - العلاقات التشادية الليبية من عام 1971 - 2003م، ص 46.
- (45) محمد الهادي عبد الرحيم، مرجع سبق ذكره، ص 51.
- (46) المرجع نفسه، ص 53.
- (47) عباس حامد، مقرر سمنار العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، الناشر: دار الثقافة العربية، ص 627 - 628.
- (48) التقرير الإستراتيجي السنوي للعام 2006م، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأثر الإثني للصراعات في أفريقيا، ص 253.
- (49) المرجع نفسه والصفحة.